التوجه الاصلاحي في شعر الإمام علي "عليه السلام"

دراسة نقدية تحليلية

م.د. وسن علي عبد الحسين الزبيدي

مديرية تربية بغداد / ك ٣/ معهد الفنون الجميلة

phdwasanali2016@gmail.com

الملخص

استأثر الإمام علي " عليه السلام" بقدر كبير من اهتمام الباحثين والمؤرخين في شتى صنوف المعرفة، ولهذا أسبابه وهي في غاية الوضوح ، ذلك أن الإمام "عليه السلام" لمع نجمه في كل ميادين الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية وفي ظرف زماني بالغ الحساسية والتوتر من تاريخ البشرية ، ويأتي هذا البحث ليبين جانبا مهما من جوانب الإصلاح الذي جاء به الامام علي في خلافته للإمة وذلك عن طريق الشعر والكلام المؤثر الذي يترك صداه في النفوس ،متبعة منهج تحليليا للنصوص والكشف الدلالي عن الإحالات النصية الشعرية من الملفوظ الاسلامي وتأثير ذلك في المتلقي.

الكلمات المفتاحية ، الامام علي وحقوق الانسان ، الشعر الاصلاحي ،

Abstract

revolutionary, reform and rebellion

Imam Ali "peace be upon him" has captured a great deal of interest of researchers and historians in various types of knowledge, and this is why his reasons are very clear, because the Imam "peace be upon him" shone with his star in all fields of political, intellectual and social life and in a very sensitive and tense temporal circumstance of human history This research comes to show an important aspect of the reform that Imam Ali brought in his succession to the nation through poetry and influential speech that resonates in the souls, following an analytical approach to

texts and semantic disclosure of poetic textual references from the Islamic pronunciation and its impact on the recipient .

Keyword: Imam Ali and human rights, reformist poetry

الايديولوجية ، الثورية ، الاصلاح والتمرد

حدود الدراسة : التزمت الدراسة بكل ما قاله وأنشده الامام علي (عليه السلام) في الشعر لاسيما التي هدفت إلى الاصلاح وتبني السلوك المعتدل في الحياة في روع متلقياه بأسلوب جزل رائع مؤثر في النفس ، إذْ حددت الدراسة بما جاء في الديوان المطبوع للإمام عليه السلام ، والإصلاح الثوري عن طريق البيان والكلام البليغ المنتظم .

منهج البحث :

يمكن تحديده عن طريق أبعاده المعرفية التحليلية والوصفية ،في الكشف الدلالي عن البنيات النصية الشعرية ووقعه الاجتماعي في الواقع المعاش ، في تلك المدة الزمنية ،ومداها المستقبلي ، ويتجلى أيضا المنهج التحليلي من الناحية الفنية في الأسلوب عن طريق جمالية الألفاظ ، والإيقاعات الموسيقية .

الدراسات السابقة : تزخر كتب التأريخ والأدب بالدراسات الموضوعية عن شخصية الإمام علي وعهد خلافته العادلة وتاريخ دولته ونظامه في الحكم وبلاغته في اللغة والأدب ، ومن هذه الدراسات نجمل منها:

١- روافد الأدب العربي في عصوره القديمة ، كمال اليازجي ، المطبعة المخلصية – بيروت ، ١٩٦١ ، ص٥٠ .

٢- الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، علي وعصره ، جورج جرداق ،ج١ ، ص٤٥ ، ، مطبعة الاندلس – بيروت – لبنان ، ١٩٥٦ .

٣- عبقرية الإمام علي ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٩٧ ، ص٢٠٢ .

مشكلة البحث :

إن ما جاء من الكتابات على كثرتها واختلاف اتجاهاتها الفكرية والعلمية ، لم تُعطى الجانب الأدبي ولاسيما الشعري في شعر الامام علي (عليه السلام) ،وتوظيف الإمام له في إشاعة الإصلاح والنزعة الثورية والتمرد على الظلم والظالمين وعرض أيديولوجيته الإصلاحية في الشعر تلك الاهمية في مكانتها الاصلاحية في المجتمع ، فلم تحظ بما تستحق من الدراسة ؛ لذلك فإن اختيار موضوع البحث في شعر الإمام علي ،ولاسيما شعر الحرب عنده ،وما يظهر من الإصلاح والثورية ما يسوغها للاهتمام بهذا الجانب المهم وايلائه ما يستحقه ؛ لتسليط مزيدا من الضوء على ذلك بما لم تظهره الدراسات السابقة .

هدف البحث : يبين هذا البحث ، الجانب الإبداعي لشعر الإمام علي ودراسته دراسة تحليلية بما يظهره من طراز خاص من الإبداع ومما وهب من كمال النفس وسمو الروح وغزارة العقل والمعرفة مما لا يرتقي اليه أحد سواه، فنجد شخصيته الأدبية الفذة ماثلة مما تركه من أدب فاق نسجه وكماله وسمو معناه وحسن سبكه وجزالة لفظه وفصاحته كل ما جاء قبله وبعده ،

محـددات الدراسـة : ما شملته معظم محاور البحث ، تناولت الإصلاح والنزعة الثورية وتوظيفها شعرا، واختيار نماذج من شعر الحرب للإمام علي ، والتي تبين الجهود الفكرية والإصلاحية التي نشرها في المجتمع الإسلامي ولاسيما المجتمع الكوفي ومركز الخلافة والحكم ، وما أظهر بما يمتلكه الإمام علي من عقل متوقد وقلب واع ولعل أفضل ما يدل على ذلك ما جاء في وصاياه ورسائله وخطبه ، وما عبر عنها من عمق تجربته الذاتية في مجال العلم والمعرفة .

التمهيد

١- مفهوم الإصلاح و الثورية في الشعر – لغة واصطلاحا – :

تعريفها لغة :

- الاصلاح : صلح : الصلاح : ضد الفساد صلح يصلح ويصلح صلاحا ..... ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح في أعماله وأموره ،وقد أصلحه الله . ...والإصلاح : نقيض الفساد ..... وأصلح الشيء بعد فساده : أقامه (ابن منظور ،ج٨، ص٢٦٧) .

- صلح :الصلاح ضد الفساد وبابه دخل .... والاصلاح ضد الافساد(الرازي ١٩٨٢ ،٣٦٧ص).
- ثور – مصدر ثار : الغبار سطع .....(وثوَّر) فلان الشر (تثويرا) هيجه وأظهره (نفسه ص٨٩) .

- الثورية : ثورة : جمع ثَوْرات (لغير المصدر)، ثار على .... (السياسة) :اندفاع عنيف من جماهير الشعب نحو تغيير الوضاع السياسية والاجتماعية تغييراً أساسياً (احمد مختار ، ٢٠٠٨ ،ص٨).
- ثور : ثار الشيءُ ثوراً وثؤوراً وثوراناً وتَثَّور :هاج ..... وثور الغضب : حدَّته(ابن منظور/ مادة ثور) اما في الاصطلاح فهو : يقول الراغب في المفردات (الصلح يختص بإزالة النفار بين الناس ، وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا ، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده ، وتارة يكون بالحكم له بالصلح) ، .....ويورد بعدة معاني ايضا : منها ما يقابل الفساد " ولاتفسدوا في الارض بعد إصلاحها "(الاعراف ٥٦) ،وما يقابل السيئة "خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً" (التوبة ١٠٢) ، ويقول الامام القاشاني (كانوا يرون الصلاح في تحصيل المعاش ، وتيسير أسبابه ، وتنظيم أمور الدنيا لتوغلهم في محبة الدنيا) (القاسمي ١٩٥٧،ص٢٥٢)
- والاصلاح او الاصلاحي : تغيير تدريجي جزئي سلمى ، ومن ادله قوله صلى الله عليه واله (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده إن استطاع ،فأن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)(صحيح مسلم ، ١٣٧٤ هـ، رقم ٧٨).
- **مفهوم الإصلاح والثورة :**

في تناول مفهوم الاصلاح ،لابد من معرفة علاقته بمفهوم الثورة كوجه آخر للتغيير ، وهنا أن نجد وجهتين في تحديد طبيعة العلاقة بين المفهومين ، ومنها : وجه للجمع بينهما ، فإذا قامت العلاقة بين المذهبين على اساس الجمع بين الإصلاح(ديفيد هوكس ، ٢٠٠٠،ص٩٤) – كوجه تغيير تدريجي جزئي – والثورة كوجه تغيير كلي من باب رفع التعارض والتناقض بينهما ، بعد أن يكون الإصلاح مقدما على الثورة زمانيا وقيميا ، وعده – اي الاصلاح – نمط التغيير الأصلي ، ومن ثم يمكن الالتزام به ما دامت توجد إمكانية تحقيقه في المجتمع ؛ في حين ان الثورة وهي وجه للتغير ثانوي او فرعي ، فإن العمل بها

أو عن طريقها والانقياد لها لا يكون الا في حالة عدم وجود وسيلة أخرى للتغيير أو إمكانية حدوثه من دونها ،فالرجوع الى التغيير الثوري يكون كأداة لإزالة العقبات أمام حدوث الإصلاح في وجهه الشرعي القانوني كنظام ممثل للشرعية ، والإصلاح والتوجه الإصلاحي في المجتمع كمنهج تغيير فهو يتصف بالاستمرارية ويعبر عن ضبط العلاقات بين الناس في مضمونها التشاركي فيما بينهم كتبادل العلم والمعرفة والقرارات المجتمعية المراقبة للسلوك المجتمعي ، وحدوث التطور الاقتصادي والاجتماعي عن طريق حل المشكلات المتجددة (ديفيد هوكس ،٢٠٠٠،ص٩٤). ومن يتجه لوجه واحد في التغيير ، أما الإصلاح أو الثورة ،لدرجة الغاء نمط تغيير آخر واتخاذ نمط انفرادي ،فهنا تضيق وجهة التغيير وقد تسبب التطرف والخروج عن النظم الشرعية والقانونية في أحداث الاصلاح المنشود ، فيذهب بهم الى التمرد ويؤدي بالمجتمع الى الهاوية.

من هذا المنطلق توجهنا الى الجمع بين المفهومين للخروج بوجهة النظر المرادة في أن الإصلاح يجمع مع الثورة في مسار معتدل لجعل الإصلاح ممكنا ؛ وله طرق متعددة منها عملي تطبيقي ومنها يلتمس عن طريق التأثير في السلوك بالكلم المؤثر لاسيما نظم الشعر وأسلوب الشعراء المتغلغل في النفوس لتغيير فكرها وايديولوجيتها نحو اصلاح النفس والسلوك.

المحور الاول

. أدب الإصلاح وثورية الحياة في شعر الإمام علي عليه السلام، دراسة فنية تحليلية :

كثير ما وجد في الأدب عامة والشعر خاصة ،إتجاه يمثل طائفة من الشعراء سخروا أقلامهم وقريحتهم لخدمة مبادئ وقضايا شعوبهم ومجتمعاتهم ، فأطلق عليهم شعراء الإتجاه الإصلاحي

،فكان كلامهم مدويا ومسموعا ،أخاف الطغاة وهزت الأعداء . ويبدو من ذلك أن الشعر وأهله يتحملون مسؤولية الإصلاح بحكمة وأمان ، والثورة الكلامية السلمية لها وقع مدو في مقارعة الظلم ونشر العدل ،فكان هناك شعر اضاءة من ورائه شعراء لمعت اسماؤهم في سماء الحرية والثورة كالنجوم المضيئة في ليل حالك ؛ فجلجلت قصائدهم وأشعارهم معلنة عن نفسها وانتمائها ، لتدحض الظلم والظلام والفساد المجتمعي والسلوكي ، وتنشر العدل والسلام وروح المساواة بين أفراد المجتمع الواحد (صلاح فضل ،٢٠٠٥ ، ص٣).

لذا لقد حمل هذا الإتجاه الشعري عناء الاصلاح والتوجيه الفكري والعاطفي ، عسى أن تثمر جذوة الحس الإصلاحي في إحداث التغيير المطلوب ،وتنفذ في روح المتلقي ، لتنشأ صراعا فكرياً وشعورياً بين التوجه المنحرف والموالي للنفس الأمارة بالسوء ، وبين الفكر الاصلاحي والنفس الملهمة للتقوى . وهذا ما ذهب إليه شعر الامام علي (عليه السلام) ، في توجهه الاصلاحي للأمة متخذا منه وسيلة حربية أخرى ،وأداة حازمة في مقارعة السلوك المنحرف موازية مع سيفه البتار في محاربة الطغاة والظالمين ورفع الظلامة والقهر عن الفقراء والمستضعفين ،ونصرة الضعفاء ورد الحقوق الى أصحابها .

وبما إن الشعر في عهد الامام وهو عهد صدر الإسلام كان الأثر الأعمق والصدى المسموع في متلقيه ، فكان معبرا عن طموحاتهم والآمهم وهمومهم ،ليرصد جوانب الخير والشر في المجتمع ، ويكون مبشرا بالحث على التكاتف والعمل الجماعي في ألفة ومحبة ، داعيا الى سعادة الانسان وصون كرامته وكرامة وطنه ،معلنا عداءه للظلم وكل اساليب القهر ومصادرة الحريات .

فكان الإمام علي مدركا في دور الشعر في بلورة الضمير الجماعي للأمة وتكثيف رؤيتهم لهذا الإصلاح في منظومة المجتمع الاسلامي ، فيقول بشفافية مثيرة للتأمل :

تنزه عن مجالسة اللئام والمم بالكرام بني الكرام
ولا تك واثقاً بالدهر يوماً فإن الدهر منحلّ النظام
ولا تحسد على المعروف قوماً وكن منهم تنل دار السلام
وثق بالله ربَّك ذي المعالي وذي الآلاء والنِعم الجسام
وكن للعلم ذي طلب وبحث وناقش في الحلال وفي الحرام

وبالعوراء لا تنطق ولكن بما يرضي الإله من الكلام

وإن خان الصديق فلا تخنه ودم بالحفظ منه وبالذمام

ولا تحمل على الإخوان ضغنا وخذ بالصفح تنج من الآثام (الديوان /بحر الوافر ص١٣٦)

إن صوت الإمام علي عليه السلام ، كان في مقدمة الاصوات التي ارتفعت بالمعارضة ونقد الواقع وطلب التغيير في مجالات الحياة كافة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا ما ظهر في الأبيات السابقة ، والتي نطقت حروفها وموسيقاها ما أوقع في النفس صدى التحرر والثورة على الواقع المنحرف والسلوك غير المنضبط في المجتمع الإسلامي والدعوة الى التحرر من عبودية النفس الأمارة بالسوء ، وهو ما يشير الى تلك الفترة التي سبقت عهد ولايته للخلافة ؛ فكان صوته ضد هذه الأوضاع المستجدة ليعلن ثورته الإصلاحية . بصدح مدويا :

دع الحِرْصَ على الدُّنْيا وفي العَيْش فلا تَطمعْ

ولا تَجْمَعْ من المالِ فلا تدري لمن تجمع

ولا تدري أَفي أَرضِك أم في غيرها تصرعْ

فإنَّ الرزقَ مقسومٌ وسُوءُ الظَّنَّ لا يَنْفَعْ

فقيرٌ كُلُّ من يَطَمعْ غَنيٌّ كُلُّ من يَقْنَعْ (الديوان /بحر الهزج ص٩٥)

يتبين للقارئ في لجة هذا الإيقاع الموسيقي الدافق مدى فتنة اللغة الناطقة بدلالة الأبيات ، فتوحد هذا النظم مع قائله ليصب في بؤرة إحساسه الذي ظل في جوهره منتفضا على الواقع المتردي متمردا عليه مستغرقا في حفاوة الذات وطلبها للتغيير .

ويقول عليه السلام وهو يخاطب عالمه الخارجي :

ولا خير في وعدٍ إذا كان كاذباً ولا خير في قولٍ لإذا لم يكن فعلُ

إذا كنت ذا علمٍ ولم تكُ عاقلاً فأنت كذي نعلٍ ليس له رجلُ

وإن كنت ذا عقلٍ ولم تكُ عالماً فأنت كذي رجلٍ وليس له نعلُ(الديوان /بحر الطويل ص١١٩)

تؤكد الأبيات هنا طبيعة المتحدث النورانية ودعوته الرسولية ، فيما يظهر من خاصية جوهرية في ابداعه الشعري ، وطبيعته الشفاهية التي تستسيل النغم وهي تضع عليه ذوب الإحساس وخلاصة الخبرة المعرفية والجمالية وعبقرية النظم .

يقول عليه السلام :

ومحترسٍ من نفسه خوف ذّلةٍ تكون عليه حُجَّةٌ هي ماهيا

فَقَلَّص برديهِ وأقضِ بقلبهِ الى البِّر والتقوى فنال الأمنيا (الديوان ص١٥٥)

وأيضا :

لا خير في ود امرء متملقٍ حُلُو اللسان وقلبه يتلهبُ

يلقاه يحلف أته بك واثقٌ وإذا توارى عنْك فهو العقْربُ

يُعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةٌ ويَرُوغُ منك كما يروغُ الثَّعلبُ (الديوان /بحر الوافر ص٥٠ – ٥١)

ما يرد في الأبيات السابقة تنبه المتلقي الى ضرورة التمحيص في خطاب الآخر في تفادي الوقوع في شباك المحتالين ،فالإمام يضع خلاصة موقفه وقدرته على تكثيف رؤيته للحياة والعالم في كلمات وجيزة تمسي نموذجا حقيقيا للسلوك الحياتي المعاش في شعرية إبداعية تتجلى في بنية تعبيرية متجددة في الصياغة والتراكيب ، محافظا في الوقت نفسه على الأنساق الموسيقية والإيقاعية مؤثرة في النفس ، عازفة عن التحرر من عمود الشعر.

ومن منطلق توافق عدد كبير من المفكرين والمنظرين على القول بأن النصوص الشعرية والأدبية توضع عادة في خدمة أغراض ايدولوجية مكشوفة أو مضمرة ،فحتى الأعمال التي لا تتضمن نصوصا سياسية مباشرة ، يمكن أن تعكس توجهات غير مبينة(علي مقلد ،١٩٩٦ ، ص٩٨) .

لذا كان الامام عليه السلام حريصا في توجيهه الإصلاحي وإصلاح العلاقات البينية اي بين الأفراد في والجماعات داخل المجتمعات الإسلامية والمؤمنة ، فمنذ توليه الخلافة وما قبلها أيضا ،كان منهجه عليه السلام هو وجود العلاقة الطيبة الحميمة بين المسلمين

والأخوة الايمانية التي جاء بها القرآن الكريم . وهذا نلمسه في كل أفعال الإمام وأقواله وخطبه البيانية البليغة . فيقول :

وما طلبُ المعيشةِ بالتمني ولكن ألقِ دَلوكَ في الدلاء *

تجئْك بملْئها يوماً ويوماً تجئك بحمْأةٍ وقليل ماءِ (الديوان ص٢٩ –الدلاء :جمع دلو)

وفي حث الإمام عليه السلام عل الرجوع لمبدأ الشورى في اتخاذ القرارات المصيرية للشعوب قال من بحر الطويل :

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيبُ

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهُمْ فغيرك أولى بالنبي واقربُ(الديوان ص٢٩)

تتعرض الذات الشاعرة في هذا الاطار الى شبكة من الإشارات والزوايا والظلال وكل ما له صلة بفضاء العملية الشعرية ليكشف صور اشتغاله الفكري المضمر واطلاقها في السياق الشعري بحسب طبيعة الفكرة ومدى فاعليتها في السياق ،على نحو يقدم فيه على سطح القول الكتابي بعض آليات الشغل الشعري(محمد صابر عبيد ،٢٠١٠ ،ص١١٤) ، وذلك في عملية تصريح حرة تقدم صورة قرائية للحدث والرؤية الاجتماعية التي يريد عرضها ، فان كان الحاكم اتخذ الشورى مبدأ للحكم فلابد من التزامه به ،حتى وأن كان من أهل بيت النبوة وقربه من النبي يلزمه اتخاذ الشورة نظام في الحكم ، وهذه عدالة الإمام في دولته .

قال من بحر الطويل(الديوان ص١٧):

لعُمرك ما الإنسان الأ بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسبْ

فقد رفع الأسلام سلمان فارسٍ وقد وضع الشركُ الشريفَ أبا لهبْ

فانبرت الوحدات القولية الشعرية هنا لتعلن صوت الذات عن خشيتها من غرور البعض وتفاخره بنسبه ونسيانه دينه الذي فرض عليه التواضع وتقوى القلب والعمل بالنيات لا بالحسب والنسب في ميزان القبول عند الخالق عز وجل .

ومما قاله عليه السلام في الفرج بعد الشدة (الديوان بحر الوافر ص١٨) :

إذا اشتملتْ على اليأس القلوبُ وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ

وأوطنتِ المكارهُ واستقرَّتْ وأرسَتْ في أماكنها الخطوب

ولم ترَ لانكشاف الضرِّ وجْهاً و لا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوطٍ منك غوث يمُنّ به اللطيفُ المستجيبُ

وكل الحادثات إذا تناهتْ فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ

ترتسم بلاغة التكثيف وشعرية اللغة في إطار إنتاجها التشكيلي والبنيوي عند الإمام علي خطاً تعبيرياً خاصاً يتمخض عن فردية أسلوبه المتحققة في كل نتاجاته الابداعية من خطب ووصايا وشعر ونثر ،ففي المقطع السابق ينظر القارئ الى صورة شعرية تكتنز فيها الدوال اكتنازا خصبا وتلتئم على شبكة من القيم الروحية والمعاني الإنسانية والإشارات والعلامات المتداخلة فيما بينها على نحو حيوي متوالد يقود الى حفر قرائي للغور في نفس الذات المبدعة والمتمكنة الحساسية الشعرية للغة الشعر المؤثرة في المتلقي ،فيفتح فضاء التأمل العميق والنظر المركز في سبر واختراق هذه الدوال المتموجة لتنتج القدرة للارتفاع بشعرية الخطاب وتوجيهاته الإرشادية .

وفي قوله من بحر الكامل عن الوفاء بين الناس (الديوان ص٣٤):

ذهب ذهاب الوفاءُ أمس الذاهب فالناسُ بين مخاذلٍ* وموارٍ **

يفشون بينهم المودَّة والصَّفا وقلوبُهم محشوةٌ بعقاربِ

بدأ الخطاب بالفعل المؤكد (ذهب) وتعني الإصرار على المضي في الذهاب والرواح وثابتا على مبدأ ضياع الوفاء هذه الخصلة الاخلاقية التي حث على وجودها الاسلام ليعم الاصلاح والسلام بين الناس بل عنها تفشى الخداع والنفاق وهي خصال تنذر بعواقب وخيمة في المجتمع تؤدي به الانقسام والتفرق .

وقال الامام لبنيه(الديوان ص٣٨) : يا بني اياكم ومعاداة الرجال ،فإنهم لا يخلون من ضربين : عاقل يمكر بكم ، او جاهل يعجل عليكم ،والكلام أنثى والجواب ذكر ،فإذا اجتمع الزوجان فلابد من النتاج ، ثم قال من بحر الوافر :

سليم العِرضِ من حَذِرَ الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجالَ تهيَّبُوه ومن يُهِن الرجالَ فلن يُهابا

يستعرض الراوي المتكلم في سياق الخطاب وصايا الاب لعائلته وابنائه ضمن علاقة عاطفية تخضع لتموجات انفعالية في حرص الاب على تحريض الابناء للعمل الاصلاحي والحذر من الوقوع في شراك الشيطان ومكره ،ضمن منظومة متألقة من الأفعال (يمكر ، يعجل ،يخلو) فتنمو هذه الافعال نموا دراميا داخل المنظومة الشعرية التي تلتها ، مما يظهر إبداعية المتكلم وعبقريته اللغوية ، فيردف معنى ما قاله نثرا لصوغه في قالب شعري يبين بوضوح الإعلان الشعري الصريح عن المناخ التوجيهي الذي يحاكي تجربة المبدع المتكلم الوجودية .

وقال عليه السلام من البحر الوافر (الديوان ص٣٨) :

وذي سفهٍ يواجهني بجهلٍ وأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهةً وأزيد حلماً كعودٍ زاد بالإحراق طيبا

صورة رائعة من صور الأخلاق الرفيعة والتي تظهر خصلة الحلم والصبر وفراسة التحدث مع الآخرين فهذه الأيقونة الوصفية هيمنت على مخيلة القارئ لتعطيه درسا رائعا في التعامل مع مخاطبيه .

وقال في الدهر من بحر الطويل(الديوان ص٤١) :

وما الدهر والأيام الا كما ترى رزيّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ

وإن امرءاً قد جرّب الدهر لم يخف تغلب حاليه لغير لبيبِ

إن هذا الدال الزمني الجمعي (الدهر والأيام) ،اطلق التعبير الشمولي وهو مكتنز بإيحاء إيقاعي مضمخ بالأسى والحسرة ليصف مظاهر الغنى والبهاء والخصب وهي تتجلى في مشهدها هنا بالأفول والتلاشي وتتضح من أيدي أصحابها في بئر الفراق للاحبة ووداعهم ومصيبة الفقد والإفلاس للتضاعف الحسرات على حرارة ذلك الزمن الاليف وزهوته ، في سياق تعبيري أنتج دلالته في حدود وصفه المباشر والمتصل بالزمن (الدهر) ، بل يهبط الى اللقطة الشعرية التي تليه ليشتغل على احداث مشهد دلالي آخر ينفتح على أنساق آخر ، في سبيل استكمال الصورة وتجليها لشهوات النفس اللوامة المتكبرة والثورة على الخذلان والتوجه الى الإصلاح والحرية .

المحور الثاني

وثيقة حقوق الإنسان وتصدي الإمام علي للإصلاح في المجتمع

****

كانت للإمام علي عليه السلام ، نظرياته ومبادئه التي سبقت زمنها بمئات السنين لاسيما في مجال حقوق الانسان والتي اثبتت صحتها وجدارتها في القانون الانساني(جورج جرداق ، ١٩٥٦ ،ص٤٥) للحقوق ، ومنها ترسيخه نظام الشورى كمبدأ وهيكلية تقوم عليها مؤسسات الدولة الحاكمة .فعن طريق مواقفه عليه السلام وأقواله وخطبه ،يلحظ المتتبع للتراث الاسلامي البون الشاسع ما بين نظرة الامام علي القائمة على احترام الإنسان وارساء مبادئ المساواة والعدالة والحرية ،في وصية له لولديه في اقامة الصلاح بين الناس واصلاح ذات البين وهي من افضل العبادات كما روي عنه عليه السلام قال: (فإني سمعت جدكما صلى الله عليه واله يقول : صلاح ذات البين افضل من الصلاة والصيام (الشريف الرضي ،١٤١٤ ،ص٤٢١)، و ما بين الحكم المتسلط الفردي الاستبدادي الذي يقوم على الغاء الآخر والانفراد في الحكم ، وتغييب دور الشعب ،بجعله مجرد فئات محكومة موزعة على جغرافية البلد ، مغتصب الإرادة ومصادر القرار وحق المشاركة في تحديد المصير أو بناء الدولة . وهنا يأتي فكر الإمام علي وعن طريق ما قاله وما فعله ومواقفه التي ترفض كل أشكال الاستبداد وهذا الاتجاه المكبل لحريات الشعوب ، المحطم لطموحاتها في بناء المستقبل الذي يتكفل بالعيش الكريم للإنسان .

وكان في حكم الإمام ونظام دولته ، الكثير من المبادئ والتشريعات والقوانين التي تدعم مبادئ احترام حقوق الفرد وأحقيته في بناء الدولة ،والمشاركة في دفع عجلتها التنموية في مختلف المجالات ، وفي أقدم وثيقة حقوق الإنسان في التاريخ الإنساني وهي الوثيقة الدستورية التي أصدرها الإمام علي في خلافته وعهد بها الى عامله على مصر مالك الأشتر ،وما حملته تلك الوثيقة في طياتها من الحنان الانساني العميق الذي يحيط به الامام دستوره في مجتمعه الذي يقوده، فنرى فيها أبعاداً إنسانية وتعمقا في الرؤية

ووضوحا في الفكرة ، إذ جاء فيها(ينظر موقع مكتبة الحيدري على الشبكة العنكبوتية ، www.haydara.com/maktaba-moktasah/15/book):

(واشعر قلبك الرحمة للرعية ،والمحبة لهم والالفة اليهم ، ولا تكن عليهم سبعاً ضارياً ،تغنم أكلهم فإنهم صنفان : اما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق)(الشريف الرضي ،١٤١٤ هـ ،٤٢٦ – ٤٤٥) ، ونرى هنا جزالة اللفظ ووضوح المعنى المراد من العبارة في أسلوب سهل ممتنع ينم على إبداعية اللغة وتمكن صاحبها من أدواته الكلامية ، مجسدا في هذه الكلمات وثيقة حقوقية طبقها الإمام على أرض الواقع بعدالته وقوانينه التي سنها ، ذلك الوقت مع رعيته ، فخلدت مقولته التي لم ينطق بها حاكم غيره ؛ لتثير استعجاب واستغراب الكثير من ناقدي الأدب ومؤرخي التاريخ . وأيضا مما قاله في هذه الوثيقة التاريخية :

(لقد اصبحت الأمم تشكو ظلم رعاتها ،واصبحت أشكو ظلم رعيتي ، ولقد كنت بالأمس أميرا ،واليوم مأموراً ، وكنت ناهياً ، واليوم منهيا) (الشريف الرضي ،١٤١٤ هـ ،٤٢٦ – ٤٤٥) ، لله درك سيدي ابا الحسن ما أعدلك وما ابلغ كلامك – ففي حين انه كان بمقدوره استخدام سيفه البتار في قطع ألسن المعارضين واخماد نار فتنة المنافقين وكل ناقديه والمتمردين على سلطته ، لكنه أبى على نفسه وهو ابو الحسن ذلك وهو الحاكم العادل ، ومن امثلة عدالته في يوم حين كان يخطب في الكوفة من على منبرها ، انبرى له رجل من أهل الكوفة ومن معارضيه قال بصوت مسموع : (الله أبوه كافراً ما أفقهه) ، فانبرت له جماعة لقتله ، إلاّ أن الإمام نهاهم عن ذلك بقوله عليه السلام (اتركوه فهو اما سب بسب ، او عفو عن ذنب) ، وهو هنا أراد ان يأسس لتعددية الرأي والرأي الآخر ، ويقنن لحرية النقد ، حتى لو كان لرأس السلطة ،فهذه هي دلالة على التعددية السياسية التي تفخر بها الدول الغربية اليوم ، واعطاء مساحة من حرية الانتقاد حتى لو كان لأعلى هرم في الدولة ، ولأي شخص مهما كان عنوانه . ومن مبادئ هذه الوثيقة ايضا ما جاء فيها(ينظر: في مراجعة قول الامام علي ، د. محمد فتحي١٩٦٨ ،ص ٣٠٤ – ٣٠٦ . وينظر نهج البلاغة ، ص ٤٢٦ – ٤٤٥) . فتتراءى هنا المثل العليا التي يريدها الناس في الحاكم الكريم والرجل الشريف وكأن الإمام يقول لمن تصدى

لدفة الحكم هذه هي صفات الحاكم العادل واحذر من اضداد هذه السجايا وابتعد عن المثالب والعيوب والا فسيف السخط من العامة سيُشهر في وجهك .

- **الخاتمة**

١- عندما نقرأ نصوص للأمام علي وما يتجسد في النص بوصفه موثقا لرؤيته عن شمس كبرى غائبة عن واقع المجتمع المعاش وما يريد ان ينشده من الحرية والدعوة الى البحث عن مستقل افضل للرعية من علما وتعليم وتمسك بالقيم الاخلاقية التي رسمها الدين ومحاربة كل اشكال الفساد والظلم من قبل الحاكم كذلك محاربة الانحراف السلوكي في المجتمع .

٢- تتجلى في النصوص الابداعية التي درسناها بالحساسية الشعرية في سياق التلقي التي تعود بها الى المرحلة الشفافية التي تعلي من شأن الإيقاع السمعي للعبارة النصية وتمجد الصوت وتشتغل بأيقونات جمالية تشكيلية تستنهض الصوتي في الكتابة والدلالي في التصوير التشكيلي ، وهي ليست غريبة على بليغ مقتدر مثل الامام علي .

٣- الإمام في كل نتاجاته الإبداعية يمهد للرؤية والمنهج ،فقد كان فارساً في الكلمات كما هو فارس في الحروب ، وعاش واقع مجتمعه.

٤- كان الأمام في نتاجه الأدبي الشعري والنثري قد تناول مختلف الأغراض ولم يقتصر على غرض او موضوع واحد ونظم نصوصه الشعرية على معظم بحور الشعر العربي المعروفة ، مكتنزة بأيديولوجيته وبلاغته الرائعة في عرض الفكرة وتوجه المتلقي لما يريد الكاتب .

٥- تميزت نصوصه الأدبية عليه السلام بما جاء به الأدب في صدر الأسلام من الإسلوب الخطابي الذي يهتم بقصر العبارة وحلية السجع وقوة الاشارة فضلا عما تضمه من تعاليم دينية واخلاقية وفكرية طبعت بصمة الإمام وبلغته وتميزه عن أهل زمانه في هذا المضمار وشدة وقعه بوجه الأجمال .

المصادر

١- احمد مختار عبد الحميد عمر ، **معجم اللغة العربية المعاصرة** ،ط١ ، القاهرة عالم الكتب – ، ٢٠٠٨ م .

٢- **ابي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري** ،تحق: محمد فؤاد عبد الباقي صحيح مسلم ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٤هـ .

٣- جورج جرداق ، **الأمام علي صوت العدالة الإنسانية – علي وعصره** ، ط١ ، بيروت – لبنان ،مطبعة الاندلس ، ج١ ،١٩٥٦ .

٤- ديفيد هوكس ، **الأيديولوجية** ، ، تر: ابراهيم فتحي ،مصر ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ٢٠٠٠ م .

٥- الشريف الرضي محمد بن الحسين، **نهج البلاغة** ،ط١ ، تحقيق وتصحيح : صبحي الصالح ، قم الناشر هجرت ، ١٤١٤هـ .

٦- صلاح فضل ، **جماليات الحرية في الشعر** ، ط١ ،القاهرة ، أطلس للنشر والانتاج، ٢٠٠٥م .

٧- علي مقلد ، **الشعر والصراع الايديولوجي** ،ط١ ، دار الآداب – بيروت ، ١٩٩٦ م.

٨- محمد بن أبي بكر الرازي ، **مختار الصحاح** ، دار الرسالة – الكويت ، ١٩٨٢

٩- محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب** ، ط٣ ،بيروت، دار صادر – ،ج٨ ، ٢٠١٠ م .

١٠- محمد جمال الدين القاسمي ، **محاسن التأويل** ، ج١ ، الناشر :عيسى البابي الحلبي ،ط١، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م .

١١- محمد صابر عبيد ، **العلامة الشعرية – قراءات في تقانات القصيدة الجديدة** ،ط١ ، اربد – الاردن عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٠ م .

١٢- محمد عبد المنعم خفاجة ، **محقق ومؤلف ،ديوان الأمام علي** ، الناشر دار ابن زيدون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، د. ت .

محمد فتحي واخرون،**الفكر القانوني الاسلامي بين اصول الشريعة وتراث الفقه** ، القاهرة مكتبة وهبة –، ١٩٦٨ .